

سقطوا . . أو على طريق السقوط



كما تمثل ذلك في عملية تصفية الشيخ صلاح شحادة قائد الجهاز العسكري لحركة حماس، إلى جانب المزاجية بين كل وسائل الضغط الأمني والسياسي والعسكري والاقتصادي والاجتماعي من أجل إجبار الفلسطينيين على الاستسلام. وقد استغل شارون أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر في التغطية على تصعيد جرائمه ضد الشعب الفلسطيني. لكن شارون فوجئ بأنه

على الرغم من استخدامه القوة بشكل غير مسبوق وعلى الرغم من توفر الظروف الدولية المساعدة، إلا أنه عجز بشكل مدو في قمع الانتفاضة ووضع حد لها، فاضطر لعرض خطة «فك الارتباط» في مؤشر واضح وإقرار لا يعتريه شك باستحالة حسم المواجهة مع الشعب الفلسطيني بوسائل القوة.

الجنرال عميرام متسناع: فشل الإصلاح والتجديد

نواب وأعضاء حزب العمل تداعوا للتفكير في كيفية إخراج حزبهم من الحضيض الذي أوصلتهم إليه الانتفاضة. ولما كانت الأحزاب الإسرائيلية مولعة في اختيار الجنرالات، تم اختيار عميرام متسناع ليخلف الجنرال بنيامين بن أليعازر في قيادة الحزب. عميرام متسناع الذي كان قائداً لمنطقة الضفة الغربية في جيش الاحتلال عندما اندلعت الانتفاضة الأولى، وبخلاف الكثيرين من الجنرالات كان يرفض المكابرة وأقر أنه بدون حل سياسي يتخطى الكثير من المسلمات التي عشعت في أذهان النخب الحاكمة لن يكون بوسع (إسرائيل) مواصلة البقاء في المنطقة.

متسناع اندفع لإصلاح الأوضاع في حزب العمل، لكن تبين له سريعاً أن الانتفاضة الفلسطينية تركت آثارها المدوية في النسيج المجتمعي الإسرائيلي بشكل فاق كل التوقعات. فاندلاع الانتفاضة في عهد حكم حزب العمل جعلت جل الإسرائيليين ينظرون إلى الحزب كحزب فشل في تحقيق الأمن الشخصي للإسرائيليين بشكل كبير، وذلك على الرغم من الجهود التي بذلها ممثلو حزب العمل في الحكومة سواء كرؤساء وزراء كما في حال باراك، أو كوزراء خارجية ودفاع مثال: بن أليعازر وبيريز. المجتمع الإسرائيلي الذي كان ولا يزال عاجزاً عن تحديد خياراته بشكل يمثل حلاً ممكناً لمشاكله الحقيقية رفض عميرام متسناع واختار مرة أخرى شارون.

متسناع الذي استقال من قيادة حزب العمل بعد شهر من الانتخابات وتوصل لقناعة أنه يتوجب تأييد شارون في خطة فك الارتباط.

شاؤول موفاز: القتل اللامحدود

يُعتبر شاؤول موفاز أكثر وزراء الدفاع الإسرائيليين تطرفاً وتمسكاً بخيار القوة في مواجهة الانتفاضة. وعلى الرغم من أن كل من يتتبع مسيرة موفاز في الجيش يدرك بسرعة كبيرة أن الحظ والاعتبارات الشخصية هي التي أوصلته إلى قيادة الجيش وتعيينه رئيساً للأركان قبل أن يصبح وزيراً للدفاع في حكومة شارون الأخيرة. موفاز كان يعرف بأنه جنرال غير مبدع من ناحية عسكرية. لكنه عندما كان يرتدي

في سنوات الانتفاضة الأربعة، صعدت عدة شخصيات إسرائيلية إلى الواجهة. لكن في الوقت نفسه سقطت شخصيات صهيونية كثيرة معروفة بقدرتها العسكرية والسياسية وخبراتها المختلفة. كيف ساهمت الانتفاضة والمقاومة في سقوط هذه الشخصيات، ومتى تسقط الشخصيات التي صعدت على دماء الأبرياء؟

يهود باراك: سقوط الجنرال الأبرز

عندما انتخب يهود باراك عام ١٩٩٩، كان هذا الانتخاب يمثل قصة نجاح مدوية في السياسة الإسرائيلية. وكان هناك إجماع في اليمين واليسار في الدولة العبرية على أن اختيار باراك يمثل الاختيار المناسب. فباراك كان أكبر رؤساء أركان جيش الاحتلال شهرة، والجميع في (إسرائيل) يذكرون له ما يعتبرونه «إنجازات غير مسبوقة» في مجال مواجهة المقاومة الفلسطينية، وبالذات عندما كان قائداً لوحدة «سيرت متكال». باراك اعتقد أن بإمكانه جز الشعب الفلسطيني إلى تسوية سياسية تحقق المصالح الاستراتيجية للدولة العبرية، فكانت مفاوضات «كامب ديفيد» وبعد ذلك «طابا». لكن مخططات باراك باءت بالخسران المبين عندما اندلعت انتفاضة الأقصى.

حاول باراك وضع حد للانتفاضة

خوفاً على شعبيته ومستقبله السياسي، فبادر إلى القيام بعمليات التصفية، ولأول مرة أمر باراك باستعمال مروحيات «الآباتشي» أمريكية الصنع في عمليات التصفية، فأمر باغتيال قائد «فتح» في بيت لحم حسين عبيات والدكتور ثابت ثابت أمين سر حركة «فتح» في طولكرم. ويكفي أن نشير إلى أنه على الرغم من أن باراك شهد خمسة أشهر عن عمر



الانتفاضة، إلا أن معدل الشهداء الذين سقطوا من المدنيين الفلسطينيين في كل شهر كان الأكبر في عمر الانتفاضة. في عهد باراك تم قمع انتفاضة فلسطيني ٤٨، على الرغم من كل ذلك فإن باراك فشل فشلاً ذريعاً في وضع حد للانتفاضة، وفي نفس الوقت فشل في إنقاذ مستقبله السياسي، فكان سقوطه المدوي أمام شارون في آذار/مارس من العام ٢٠٠١.

أرييل شارون: التحول بالإكراه

إن كانت الانتفاضة قد قضت على مستقبل باراك السياسي، فإن الانتفاضة قد قضت على بعض المنطلقات الأيديولوجية البالية التي تشبث بها أرييل شارون الذي يوصف على نطاق واسع بأنه «أبو المشروع الاستيطاني» في الدولة العبرية. شارون نجح بدهاء في صرف أنظار الجمهور اليهودي عن فشله في مواجهة الانتفاضة عن طريق ضم حزب العمل للحكومة وتسليم الحزب مهمة قمع الانتفاضة عبر تعيين بنيامين بن أليعازر وزيراً للدفاع وتسويق سياساته أمام العالم عن طريق تعيين شمعون بيريز وزيراً للخارجية. شارون بعد أكثر من أربع سنوات على تواصل حكمه استخدم كل وسائل القمع الأكثر قسوة في تاريخ الصراع من أجل وضع حد للانتفاضة، فكانت المجازر التي تمثلت بإلقاء القنابل الضخمة في عمليات الاغتيال